الدولة الكيانية

أو

الدولة الفارسية الثانية للعراق

سنة ٥٣٨ ق م - سنة ٣٣١ ق م

فى أواسط القرن السادس قبل الميلاد سنة ٥٥٢ ق م أو سنة ٥٥٠ ق م ظهر أرمركورش الثانى الملقب بكورش الأكبر بن قنبوسيا فنهض بقومه الفرس وأخضع الميديين [١] والعيلاميين بعد أن دانت له فارس فتوج ملكاً وأصبح إمبراطورياً على هذه الأقاليم الثلاثة (فارس وميدية وعيلام) وأسس دولة الكيانين

---

(١) الميديون سكان مديا أو ميدية أو بلاد مارى ويقال ماذى وهى التى عرفت أخيراً بأذربيجان والعراق العجمى معاً ويقال لها مدية أيضاً ويسمى هذا الأقليم بلاد الجبل أيضاً ومن أقسامها شهر روز وحلوان . وهم أى الميديون من الجنس الأرى أخوان الفرس والأفغان والأرمن وغيرهم من الأريين ومن بقاياهم الآن الأكراد . وكان لهم دولة قديمة كبيرة خضع لحكمها الفرس مدة ثم استولى عليها كورش وصارت جزءاً من بلاد فارس .

المشهورة . وعلى أثر ذلك تحالفت مملكة بابل ومصر ولديا [١] على هذا الفاتح فلم يغن تلك الممالك ذلك التحالف الثلاثى لأن كورش حمل بجيوشه الفراسية على الليديين أولاً وقرض دولتهم سنة ٥٤٦ ق م ، وتوغل فى آسيا الصغرى إلى مملكته بلاد مستعمرة الإغريق التى كانت على شواطىء آسيا الصغرى ثم فتح بخارى ومرو وديار الأفغان وبلوبجستاك ثم حول نظره إلى مملكة بابل فحمل عليها سنة ٥٣٨ ق م ، بجيش جرار فخرج للدفاع بلطشاصر بن الملك البابلى بنو ناهيد وبعد عدة معارك انكسرت فى جميعها الجنود البابلية وقع بلطشا حر قتيلاً فى المعركة الأخيرة وانهزمت جيوشه وتحصنت فى عاصمة الملك مدينة بابل فالقى الحصار عليها كورش بعد أن استولى فى طريقه على عدة مدن وبعد حصار طويل دافع فى خلاله البابليون دفاع الأبطال استولى كورش على بابل عنوة وأسر الملك نبوناهيد وأهله وساقهم إلى كرمان [٢] .

وعلى أثر سقوط مدينة بابل عاصمة العراق سلمت جميع المدن العراقية لكورش فى السنة نفسها (سنة ٥٣٨ ق م) وانقرضت الدولة البابلية الثانية أو المملكة الكلدانية على يد الفاتح بعد أن دامت ٧٣ سنة كما تقدم .

---

(١) ليديا أو ليديا تطلق على أقليم الأناضول الغربى . وهى قطعة كبيرة فيها بلاد كثيرة وكانت عاصمتها مدينة سارد وقد استولى على هذه المملكة كورش فجعلها عدة إمارات ثم استولى عليها الإسكندر ثم السلوقيون ثم الروم .

(٢) ومات نبوناهيد بعد أيام قليلة فى الأسر وكان ضعيف الرأى سيء التقدير .

كورش والبابليون

دخـــل كورش مدينة بابل – كما يقول المؤرخون دخول منقذ مصلح – فلاقـــاه أهـــلها بالتهليل والتصفيق – شأنهم مع كل فاتح – واستقبلوه بالترحيب والســـرور – وتـــلك عـــادتهم مـــع كل قوى – فأظهر لهم الولاء والرقة والرأفة وجامـــلهم وعطـــف عليهم ووالاهم وسايرهم وبالغ فى احترام دياناتهم وعاداتهم واميـــالهم وأطـــلق لهـــم الحرية التامة فى العالم والعمل والدين وأبقى قوانين البلاد وشـــرائعها على حالها وأقتدى بملوكهم الأولين فدخل هيكل الأله بيل ومسك بيده وقرب للآلهة القرابين وقدم لهم التحف [1].

وأتخـــذ لقب ملك بابل لنفســه وعمل كل ما من شأنه أن يجذب إليه قلوب البابـــليين ولم يخرب شيئاً من بلادهم لذلك لم يسقط من مدن العراق شيء وبقيت مدنـــه جميعها زاهرة عامرة من جملتها مدينة أور فأنها كانت فى عهده عامرة زاهرة ولكنها كانت حينذاك من أصغر المدن العراقية ومع ذلك فأن كورش سعى لتجديد بعـــض هياكـــلها وقام بعمل فى سبيل خدمة هيكل الأله القمر (آله أور) وقد وجد الـــسنقابون أخيراً فى اطلال هذه المدينة (سنة ١٩٢٣م) آجرة كتب عليها اسم هذا الفـــاتح أســـتدلوا منها على أنه عمر وجدد هذا الهيكل ويقول بعض المؤرخين أنه

---

(١) فعـــل ذلك كورش وهو على دين زردشت الذى ظهر بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وعمله هذا يدل على أنه كان على جانب عظيم من الدهاء والسياسة الرشيدة التى بها تسوس الحكومة العناصر المختلفة .

جـــدد عـــدة هياكل كانت فى مدن العراق وأرجع كلاً إلى موضعه من تماثيل الآلهة الـــتى كـــان قد جمعها فى مدينة بابل الملك نبونا هيد من المدن العراقية أثناء الحرب لتنصره على كورش.

ولم يشتهر كورش بسياسته الرشيدة ومراعاته عواطف الشعوب واحترامه لديانتهم وعاداتهم وأميالهم فحسب بل أنه أشتهر بتنشيط التجارة وتوسيع الزراعة كمـــا أشتهر بالفتوحات والأنتصارات لذلك تمتع العراقيون فى عهده بالحرية التامة وكـــثرت ثـــروة بلادهم واتسع نطاق الزراعة فى أرضهم بما حفره هذا الملك من الترع والأنهار وما بثه من العدل والأمن فى أنحاء البلاد ومن أجل ذلك أحبوه كثيراً حـــتى أن أكثرهم تجندوا وقاتلوا فى الحروب تحت رأيته مع أن سكان البلاد كانوا حينذاك قد قل عددهم على ما يقوله بعض المؤرخين .

وبعـــد أن تم أمر كورش فى العراق أناب عنه نائباً فيها أحد قواده وضرب عـــليها خراجاً معلوماً (ضريبة سنوية) وسار بجيوشه قاصداً فتح سورية فأفتتحها ثم أفـــتتح فلســـطين " سنة ٥٣٦ ق م " وعـى أثر فتحه فلسطين أصدر أمراً بإطلاق حـــرية اليهـــود الماســـورين فى بابل من عهد الملك بختنصر وأذن لهم بالرجوع إلى وطـــنهم أورشـــليم وفى بناء الهيكل بعد أن داموا بالأسر أعواماً ذاقوا فيها أنواع المصـــائب وضروب النوائب وولى على فلسطين زربابل أحد أحفاد يهوياكيم ولقبه بـــلقب (بهـــا) أى الحـــاكم بالفارسية ، فسار من العراق نحو الستين ألفاً منهم إلى وطنهم وأختارت جماعة كبيرة منهم السكنى فى العراق .

ومات كورش [1] ذلك الفاتح العظيم والسياسى الكبيرة " سنة ٥٢٩ ق م ".

---

[1] ويسمى قورش وقيروش وكيروش وسماه بعضهم كنجسرو . وكانت عاصمته شوشن .

بعـــد أن أسس الدولة الكيانية الفارسية العظيمة وأعلا شأن الفرس وترك لأعقابـــه مملكة تضم بلاداً كثيرة وإمارات جسيمة وتمتد من شواطئ البسفور غرباً إلى نهر السند شرقاً . وكان سبب موته أنه أراد تدويخ قلب آسيا فجرح فى معركة فى محـــل قـــريب مـــن أحد ضفتى سرداريا (نهر سيحون الذى يسميه الأقدمون يكسرتس) ومات من أثر ذلك الجرح بعد أن حكم ٢٩ سنة .

ثورة

البابليين الأولى

تولى عرش الدولة الكيانية بعد كورش أبنه الأكبر قمبيز[١] (٥٢٩ ق م – ٥٢١ ق م) وكـــان سلوكه كسلوك أبيه مع البابليين ومن أجل ذلك أحبوه كما أحـــبوا أباه قبله وأحترموه ولم يحدث فى أيامه بالعراق ما يكدر جو السياسة أو ما يخل بنظام البلاد وإداراتها .

فلما مات قمبيز حين عودته من مصر قاصداً بلاد مادى التى أجلست على سريرها برديا [٢] اضطربت شئون الدولة الفارسية وطمع بها أمراؤها وكثرت فيها الفـــتن الداخلية فأغتنم البابليون فرصة ذلك الانقلاب فثاروا على الفرس الذين فى

---

(١) ويســـمى قامـــبيز وكمـــبز وقنباسوس وقنبوسيا وكمبوزيا وقمبوسيوس وقمباسوس وقامبوجيا . ويسميه اليونان كمبوس وسماه بعضهم كيكوس .

(٢) وسماه بعضهم غوماتو وبعضهم غاماليس وآخرون سمرديس أو سمرديز ويروى أنه كان كاهناً فأغتصب الملك فى ميدية وقتل هو أحد الحكام الفرس .

بلادهـــم فقتـــلوهم وأعلنوا الاستقلال وملكو عليهم أحد أعقاب الملك نبونا هيد المدعـــو ندين توبيل (ندين تايل) وأجلسوه على سرير بابل فلقب هذا الملك نفسه نبو كد نصر الثالث وأعلن الاستقلال التام وأستعد للدفاع عن بلاده غير أن ذلك الاســـتقلال التام لم يدم غير سنتين تقريباً (٥٢١ ق م – ٥١٩ ق م) لأن الفرس أجـــتمعت كلمـــتهم عـــلى دارا الأول (٥٢١ ق م – ٤٨٥ ق م) فقمع الفتن الداخـــلية ودع الأمراء الطامعين بالملك واستتب أمره فى البلاد ثم زحف على بلاد بابل بجيوشه الفارسية .

دارا الأول

حمـــل دارا عـــلى بابل فخرج لملاقاته ملكها ندين توبيل بجيوشه العراقية والتقى الملكان بالقرب من دجلة فى أراضى أشورية فأنكسر الجيش العراقى وأضطر إلى الانســـحاب فعـــبر دجلة ونزل على ساحل الفرات فلحقه دارا وهناك حدثت حرب شديدة انخذل فى آخرها البابليون وأنهزموا إلى عاصمتهم مدينة بابل وتحصنوا فيهـــا . أما دارا فأنه جد بالمسير بعد ذلك النصر حتى ألقى الحصار على مدينة بابل فدافع ملكها ومن معه دفاع المستميت أياماً حتى عجزوا عن مقاومة الفرس لكثرة عددهم وعددهم فسقطت عاصمتهم سنة (٥١٩ ق م) ودخلها دارا ظافراً وقتل مـــلكها ندين توبيل الملقب نبوكد الثالث الذى لم يملك غير سنين تقريباً قضاهما فى إعداد المعدات الحربية دفاعاً عن حقه الصريح وحفظاً لاستقلال بلاده .

سقطت بابل فسلمت جميع المدن العراقية لدارا وخضع الحضر والبدو له . وبعـــد أن نظـــم شؤون البلاد ولى عليها حاكماً عاماً أحد قواده المسمى زوبيروس (زبـــورا) وعـــاد إلى مقـــره ورجعت الأمور كما كانت فى عهد كورش وأشتغل العـــراقيون بالـــتجارة والـــزراعة وزادت ثروة بلادهم وعاشوا فى بحبوحة الأمن

والسعادة تحت رأية دارا الأول المشهور بالعدل وحب العمران والولوع فى كل مايرقى التجارة وينشط الزراعة ويجلب الخير والسعادة إلى رعاياه .

ثورة
البابليين الثانية

مات دارا الأول فتولى عرش الفرس ابنه سرخس الأول (٤٨٥ ق م – ٤٦٥ ق م) فخضع لسلطانه البابليون بادئ بدء ثم ثاروا عليه سنة (٤٨١ ق م) وقتلوا حاكمهم الفارسى زوبيروس الذى ولاه دارا وأعلنوا الاستقلال – غير أنا لم يصلنا سبب ثورتهم هذه ولا أسم الملك الذى اجلسوه على عرش مملكتهم – فجهز لهم سرخس جيشاً كثيفاً بقيادة مغابير (مكامبيز) ابن زوبيروس المقتول فحمل عليهم هذا القائد وبعد حروب انتصر عليهم وأستولى على عاصمتهم مدينة بابل وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً ونهب هيكل الآلهة وأمر بهدمه وقتل رئيس كهنته وحمل خزائنه وتماثيله إلى خزائن سرخس وأسر عدداً كبيراً من ذوى الوجاهة والثروة والشرف واستعمل منتهى الشدة والعنف واضهد أهل البلاد فخضعوا للقوة وظلوا خاضعين بعد تلك النكبة للفرس ولم تبد منهم أدنى حركة أو ثورة فى

عهد هذا الملك [١] وعهد خلفائه أردشير الأول [٢] (٤٦٥ ق م – ٤٢٤ ق م) وسرخس الثانى[٣] (٤٢٤ ق م – ٤٢٣ ق م) ودارا الثانى [٤] (٤٢٣ ق م – ٤٠٥ ق م) وأردشير الثانى الملقب منه مون (٤٠٥ ق م – ٣٥٨ ق م) الذى قاتله اخوه كيخسرو على الملك بمساعدة اليونان ففشلوا وعادوا إلى بلادهم وسميت رجعتهم رجعة الأثنى عشر ألف [٥] وأردشير الثالث [٦] (٣٥٨ ق م – ٣٣٨ ق م) ودارا الثالث (٣٣٨ ق م – ٣٣١ ق م) الذى سماه بعضهم قودومان ولم تحركهم الاضطرابات الداخلية ولا ضعف الدولة الفارسية خصوصاً فى عهد الملك الأخير دار الثالث الذى تبوأ عرش المملكة فى وقت كانت فيه الدولة الفارسية ضعيفة جداً من توالى الأضطرابات والفتن فيها .

---

(١) سرخس الأول يقال قتله أحد قواده المدعو آرتابانوس على أثر إنكساره فى حرب اليونان .

(٢) يسميه بعضهم ارتجزرسيس الأول وبعضهم ارتحشتا وارتخشارش وعدوه من حكماء الفرس وعلمائهم وقد نقل للعرب عنه حكماً كثيرة إلى العربية وسماه بعضهم آزدشير وكان يلقب درازدست .

(٣) يسميه بعضهم اكزرسيس الثانى .

(٤) واسمه اوخوز أو أوغوس ويروى أنه تولى بعد صغديان الذى خلف سرخس الثانى .

(٥) على ان هذه الدولة – الكيانية – كثيراً ما كانت تعلن الحرب على اليونان طمعاً فى بلادهم ولقد قامت بين الدولتين عدة حروب أشتهرت فى التاريخ القديم لا محل لذكره فى هذا المختصر .

(٦) ويعرف باخوس ايضاً ويروى أن خلفه آرساس ثم تولى بعد ارساس دارا الثالث

انقراض
الدولة الكيانية الفراسية
وقيام
الدولة اليونانية

لم يتخـــلص العراقيون من الاستعمار الفارسى حتى حمل الإسكندر المقدونى على مملكة الفرس فى عهد دار الثالث الذى جلس على سرير الملك فى الوقت الذى كانت فيه الدولة الفارسية فى اضطراب مستمر فزادها هذا الملك ضعفاً واضطراباً لعـــدم كفائـــته وقـــلة تجاربه فأنقرضت تلك الدولة العظيمة على يد بطل اليونان الإسكندر بعد ثلاثة وقائع مشهورة الأولى وقعة الغرانيق التى حدثت سنة ٣٣٤ ق م والثانية وقعة أسوس[١] التى جرت سنة ٣٣٣ ق م والثالثة معركة أربيلا [٢] التى وقعت ٣٣١ ق م وهى التى قضت على تلك الدولة وقرضتها من العراق بعد أن فتح الإسكندر من الفرس جميع ما كان لهم من البلاد والمستعمرات عدا بلاد فارس التى استولى عليها بعد فتح العراق ومحيى تلك الدولة من عالم الوجود .

بعـــد أن انقرضت الدولة الكيانية الفارسية العظيمة امجد المترامية الأطراف عـــلى يد الإسكندر وتم الأمر فى العراق لليونان بعد وقعة أربيلا ثم دانت لهم بلاد فـــارس بعد قتل دارا الثالث بقى العراق تحت حكم الإسكندر ثم انتقل إلى خلفائه

---

(١) أسوس مدينة بكلسيكيا .

(٢) أربيلا هى أربل أو أربيل الحالية وهى قديمة جداً .

السلوقيين وكانت مدة حكم اليونان فى العراق (٢٠٥) سنوات ٣٣١ ق م - ١٢٦ ق م ، وذلك منذ أن افتتحه الإسكندر إلى انقراض الدولة السلوقية اليونانية على يد البرتيين الفرس .

تتمة لما سبق

كانت بلاد العراق (مملكة بابل) فى عهد الدولة الكيانية مربوطة باتاوه تدفعها للدولة الفارسية كغيرها من الولايات وكان لها حاكم عام مطلق يدير دفة السياسة والإدارة والحرب معاً ويولى العمال على المدن وكان لكل مدينة مجلس قضائى يسير على ما جاءت به شريعة البلاد لأن هذه الدولة كانت قد أبقت قوانين البلاد رجالاً وشرائعها وعاداتها على حالها . وكانت فى الغالب تولى على الالايات رجالاً من العائلة المالكة وتخول لهم السلطة التامة وكان الحاكم الذى يتولى إحدى الأقاليم يسمى سائراب وفى رواية أنها كانت قد جعلت فى كل ولاية ومدينة هيأة عدلية مؤلفة من جماعة أكثرهم من كهنة الفرس .

أما الدين الرسمى للدولة الكيانية فهو دين زردشت أو زورواستر أو زرادشت الذى ظهر فى الفرس بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد وأدعى النبوة وأنه مرسل من الله وأنه جاء من عنده بكتاب سماوى ، وقد جاء زردشت بقوانين دينية ونظامات سياسية ومدنية ووضع لقومه كتاباً سمى الزاندافستا ضمنه جميع تعاليمه وإرشاداته الدينية وعلى توالى الأعوام أصبحت شريعته رسمية فى بلاد فارس وترك الفرس ديانتهم القديمة التى كانوا عليها منذ العصور الواغلة فى القدم وهى عبادة القوى الطبيعية المختلفة وخاصة الشمس . ولا يسعنا هنا ذكر ما جاءت به شريعة

زردشت وما يعتقده اتباعها وما حدث عليها أخيراً من التغيير والتحرير والتحريف. غير أن هذا الدين لم ينتشر فى العراق أيام الكيانيين لأنهم لم يجبروا أحداً على أعتناقه ولـــذا لم يعتـــنقه أحـــد من أهل هذا القطر وظل منحصراً فى الجالية الفارسية التى اســـتوطنت البلاد حتى جاءت الدولة اليونانية ثم الدولة البرتية ثم الساسانية فكثر اتباع هذا الدين من الفرس لتوالى الدول الفارسية على هذه البلاد فلما جاء العرب المســـلمون قرضوه بالتدريج كما قرضوا البقية الباقية من ديانة البابليين " الوثنية " التى قرضتها النصرانية تقريباً قبل الفتح الإسلامى .